الحَدِيثُ الحَادِي والثَّلاثُونَ

عَنْ أَبِي العَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاس». [حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ](١).

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، ذَكَرَ العُلَمَاءُ أَنَّهُ مِنْ قَوَاعِدِ الإِسْلَامِ التِي يَسِيرُ عَلَيْهَا المُسْلِمُ، فَهَذَا الرَّجُلُ جَاءَ يَسْأَلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ أَحَبَّهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ النَّاسُ، فَهَذَا عَمَلٌ جَلِيلٌ، إِذَا أَحَبَّكَ اللهُ وَأَحَبَّكَ النَّاسُ هَذِهِ سَعَادَةٌ وَخَيْرٌ كَثِيرٌ، أَلَّا يَبْغَضَكَ أَحَدٌ، فَمَا هُوَ العَمَلُ الذِي تَنَالُ بِهِ رِضَا اللَّهِ وَرِضَا النَّاسِ؟ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رِضَا النَّاسِ مَطْلُوبٌ، مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِثْمٌ وَمَعْصِيَةٌ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**» **الزُّهْدُ**: هُوَ التَّرْكُ، يَعْنِي: اتْرُكِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ المُرَادُ أَنْ تَتْرُكَ مَا تحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَمَا تَسْتَغْنِي بِهِ مِنْ طَلَبِ الرِّزْقِ، وَالكَسْبِ الحَلَالِ، هَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ لَكِنْ اتْرُكْ مَا لَا حَاجَةَ لَكَ بِهِ، فَلَيْسَ الزُّهْدُ تَرْكَ المُبَاحَاتِ التِي تحْتَاجُهَا أَنْتَ وَأَوْلَادَكَ، وَإِنَّمَا الزُّهْدُ تَرْكُ الفُضُولِ التِي لَا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والطبراني في الكبير (٥٩٧٢)، وأبونعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٤).

تَحْتَاجُ إِلَيْهَا مِنَ الدُّنْيَا، فَالمُسْلِمُ يجْمِلُ فِي طَلَبِهِ، لَا يحْرِصُ حِرْصًا شَدِيدًا عَلَى الدُّنْيَا وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يحِبَّكَ اللهُ**» إِذَا زَهَدْتَ فِي الدُّنْيَا أَحَبَّكَ اللهُ، فَهَذَا فِيهِ مَدْحُ الزُّهْدِ فِيمَا لَا يحْتَاجُ إِلَيْهِ الإِنْسَانُ[1].

وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ يحِبُّ عِبَادَهُ المؤْمِنِينَ، فَفِيهِ وَصْفُ اللَّهِ بِالمَحَبَّةِ، كَمَا أَنَّهُ يَبْغَضُ وَيَكْرَهُ، وَمحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ مِثْلَ محَبَّةِ المَخْلُوقِ، وَبُغْضُهُ وَكَرَاهِيَّتُهُ لَيْسَتْ كَبُغْضِ وَكَرَاهِيةِ المَخْلُوقِ، بَلْ هَذَا خَاصٌّ بِهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ.

وَفِيهِ أَنَّ أُمُورَ الدِّينِ يُسْأَلُ عَنْهَا أَهْلُ العِلْمِ، فَهَذَا الرَّجُلُ سَأَلَ عَنْهَا النَّبِيَّ ﷺ، وَلَمْ يَبْتَكِرْ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا فِي الدِّينِ مِنْ عِنْدِهِ صَارَ مُبْتَدِعًا، وَكَونُكَ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ لَمْ يَأْتِ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ تَظُنُّ أَنَّهُ حَسَنٌ، هَذَا بِدْعَةٌ وَقَبِيحٌ وَمَرْدُودٌ، فَأُمُورُ الدِّينِ إِنَّمَا يُسْأَلُ فِيهَا الرَّسُولُ ﷺ، وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ العُلَمَاءِ الذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَلَا تُقْدِمْ عَلَى شَيْءٍ تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْتَ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ مِنَ الدِّينِ، أَوْ لَا؟

قَوْلُهُ: «**وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يحِبَّكَ النَّاسُ**» لَا تَتَطَلَّعْ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا تَطَلَّعْتَ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَسَأَلْتَهُمْ أَبْغَضُوكَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يحِبُّونَ وَلَا يُرِيدُونَ بَذْلَ مَا بِأَيْدِيهِمْ، فَلَا تحْرِجْهُمْ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ محَبَّتَهُمْ فَلَا تَسْأَلْهُمْ، اسْتَعِنِ بِاللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَهْمَا أَمْكَنَكَ ذَلِكَ، أَمَّا إِذَا احْتَجْتَ إِلَى السُّؤَالِ فَإِنَّهُ يُبَاحُ عِنْدَ الحَاجَة، أَوْ عِنْدَ الضَرُورَةِ، وَلَكِنْ مَهْمَا

---

(١) انظر في تعريف الزهد: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١٠/ ٦١٥)، ومدارج السالكين (٢/ ١٠)، وعدة الصابرين (ص٢٢٦).

أَمْكَنَ أَنَّ تَسْتَغْنِيَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّكَ عِنْدَمَا تُثْقِلُ عَلَيْهِم سَيُبْغِضُونَكَ؛ كَقَوْلِ القَائِلِ:

لَا تَسْأَلَنْ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ(١)

عِنْدَمَا تَسْأَلُ النَّاسَ يَبْغَضُونَكَ، أَمَّا إِذَا سَأَلْتَ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فَإِنَّهُ يُحِبُّكَ؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ.

هَذِهِ قَاعِدَةٌ: إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ العَمَلَ الذِي يُحِبُّكَ اللهُ فِيهِ، وَيُحِبُّكَ النَّاسُ فَـ«**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**».

* * *

(١) ذكر هذين البيتين أبوسليمان الخطابي في كتابه «العزلة» (ص٦٧) وعزاهما إلى الخزيمي. وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥١٩)، وفيض القدير (١/ ٥٥٦)، وتحفة الأحوذي (٩/ ٢٢١).